وثائق واسانيد

زلزال سنة ١١٧٣ هـ (بدؤها ٢٥ آب ١٧٥٩)

في دمشق وضواحيها

بقلم الشيخ محمد احمد دهمان

يقوم الباحث بدراسة الابنية القديمة في سوريا تصطدم بنواح كثيرة غامضة لا يدري سببها ، ومن اهم هذه النواحي العناصر الاجنبية التي يراها مختلفة عن البناء الاصلي .

ذلك ان الابنية القديمة وبخاصة الاسلامية الموقوفة منها كان يراعى عند ترميمها واصلاحها محاكاة البناء الاصلي ومضاهاته بكل دقة ليكون القديم من الحديث منسجماً في وحدة منظره وجماله .

وهناك قاعدة فقهية اسلامية تنطبق كل الانطباق مع قواعد علم الآثار الحديث وهو : « لا يجوز تغيير صفة الواقف » ومعنى ذلك انه اذا احتاج البناء الموقوف الى اصلاح فيجب ان يكون اصلاحه على الهيئة التي كانت عليه حين وقفها الواقف ، وكثيراً ما حكم القضاة بهدم البناء اذا كان يخالف هيئة الواقف . وهي كقاعدة علم الآثار التي لا تجيز تغيير هيئة الآثار القديمة او تحويرها .

وكثيراً ما يدرك الباحث العناصر الحديثة في البناء القديم ، ولكنه لا يستطيع تحديد الزمن الذي رمم واصلح فيه .

وموضوع بحثنا الآن هو زلزال سنة ١١٧٣هـ (بدؤها ٢٥ آب ١٧٥٩) الذي كاد يقضي على مدينة دمشق بكاملها وما حولها من قرى ومساكر . وقد احدث تخريبات فادحة في جميع آثار دمشق القديمة لم يسلم منها الا القليل النادر .

ومما يبتهج له ان اناساً ممن عاصروا ذلك الزمن وشاهدوا الزلزال وآثار تخريبه وصفوا لنا ذلك وصفاً دقيقاً .

ولا شك بان نشر هذه الوثائق التاريخية سيكون لها شأن كبير في ايضاح كثير من اسباب الاصلاحات الاثرية وتاريخ زمنها ، كما انها توضح لنا

اسباب كثيرة من الابنية المتهدمة او التي عفى أثرها وهي ليست خاصة بدمشق وحدها بل انها تعطينا فكرة واحصاء عن الحوادث التخريبية في دمشق وفي انحاء سوريا ولبنان وفلسطين . وهذه هي النصوص التي اطلعنا عليها :

النص اول

من الجزء السابع من التذكرة الكمالية

وقد كتب على كل جزء من هذا الكتاب ما يلي : التذكرة المسماة بالدر المكنون ، والجمان المصون ، من فرائد العلوم ، وفوائد الفنون ، جمع كاتبه العبد الفقير كمال الدين محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن العامري الحسني الحسيني الدمشقي الشهير كسلافه بابن الغزي المتوفى سنة ١٢١٦ وقد ترجمه الاستاذ الشيخ محمد جميل الشطي في « روض البشر في اعيان دمشق في القرن الثاني عشر» (ص ١٩٦) . وهذا الكتاب عبارة عن مذكرات للمؤلف في نحو عشرين مجلداً بخط المؤلف نفسها كثيراً من الابحاث الادبية والتاريخية الرائعة في عصره . وبنا اعتقد مذكرات لبعض هذه الاجزاء حالي من الكتابة الا ما ذكر على طرة الكتاب . وبعض الاجزاء كتب منها بعض ورقات والبعض الآخر تام والبعض كتب نصفه او نحو ذلك . وهي متفرقة عند بني الغزي . فالجزء السابع عند السيد فهمي الغزي ، والثامن والعاشر عند السيد نديم الغزي ، والسادس مع بضعة اجزاء كانت عند صديقنا المرحوم الشيخ توفيق الغزي مفتي الشافعية . واشتهر هذا الكتاب باسم «التذكرة الكمالية» وقد نشر السيد فهمي الغزي ما حادث هذا الزلزال في المجلد السادس (ص ٥٦٩) من مجلة «المقتبس» . وقد اخترنا اعادة نشره لطول العهد به وجمع نصوص هذا الحادث بعضها الى بعض . وهذا نص كمال الدين الغزي نقلاً عن مجلة «المقتبس» :

انه في سنة ثلاث وسبعين ومئة والف ، سادس ربيع الاول ، في الساعة العاشرة من الليل قد رجفت الارض رجفة مقلقة برياح وعواصف ، ورعود قواصف ، فطاشت لها العقول ، وحصل والعياذ بالله غاية الذهول ، وتخلعت السقوف ، وتشققت الجدران ، وهدمت في الشام بيوت لا تحصى ، وسقطت رؤوس مآذن دمشق ، فمنها المأذنة الغربية والشرقية في جامع بني أمية ، وقع منهما في تلك الساعة حصة ، ومنارة العروس في الجامع ذهب منها شيء يسير ، وبقية منارات جوامع دمشق لم يسلم منها الا القليل . وتلتها رجفات وزلازل .

وفي ثاني يوم من تلك الليلة ضحوة النهار رجفت الارض وتزلزلت زلزلة شديدة فسقطت من منارة الجامع الشريف الاموي الشرقية جداره الشرقي والشمالي وسمع لها صوت هائل . وما من منارة بدمشق الا وهي بناؤها حتى

ان منارة السليمية المحيوية[1] بصالحية دمشق طارت منها حصة وافية وسقطت، والجامع المظفري[2] بها ايضاً ، ومنارة جامع سيباي[3]، والجامع المعلق ، وجامع حسان ، وجامع الامير منجك بمحلة مسجد الاقصاب[4] ومنارات الجامع (؟) بمحلة الميدان ، وبقية منارات جوامع دمشق تقصفت ولم يسلم منها الا القزر القليل ، وقبة النسر العظمى في الجامع الشريف الاموي تشققت ووهت ، وتشقق الجدار الشرقي من هذا الجامع ووهى وخرب اكثر دور دمشق ، ووقعت تلك الليلة سقوف وبيوت لا تحصى ، ووقعت شراريف الجامع المزبور وكان طول كل شرافة مقدار خمسة اذرع على حائط حول سقف الجامع مقدار قامة من جميع جهات الجامع الاربع بحيث ان الشخص اذا وقف على سطح الجامع لا يرى شيئاً من الدور التي حوله ، فسقطت تلك الشرارفف وهدمت بعض الاماكن المجاورة للجامع كدار بني الغزي ، وحجرة الخلوتية الطباخية بالخانقاه السميساطية ورمت قبو ايوانها وهذه الاماكن شمالي الجامع ، وفعلت ببقية جهاته كذلك ، وفعلت افعالاً عنيفة في الاحجار ، وانصدع في الجامع العمود الذي تجاه باب مشهد المحيا[5] الشريف النبوي تجاه المضادة الكبرى . وبقيت الرجفات والاهتزازات تتوالى ليلاً ونهاراً الى آخر شهر ربيع الاول والناس يدعون الله تعالى في اذهاب تلك الشدة التي ما عهدوا مثلها ، وقرؤا صحيح البخاري مرتين ، والقرآن العظيم مراراً . وتوسلوا في رفع ذلك بكلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم .

وانهدم في تلك الليلة المتقدمة في بيت الشهاب احمد المنيني مكانان احدهما فوق الآخر . فسقط الاعلى فوق الاسفل ، فقتل تحت الردم في الاسفل ستة انفس من اولاده وعياله جهزهم صبيحة ذلك اليوم ودفنهم جملة واحدة بمرج الدحداح . وثلاثة انفس اخر سقطت عليهم منارة في محلة الميدان.

---

١) المراد بالسليمية المحيوية مسجد الشيخ محي الدين ابن عربي الذي بناه بجوار قبره السلطان سليم العثماني .

٢) هو جامع الحنابلة الذي في الصالحية .

٣) هو المشهور في عصرنا بجامع السادات .

٤) هو المشهور في عصرنا بمشهد الحسين ، وقديماً بمشهد علي .

ورجل وقع عليه هلال منارة جامع حسان فقتل ايضاً . وفي تلك الليلة تزلزلت بلاد صفد وذهب اكثر اهلها قتلى ، وقتل من اليهود الف وثلاثمائة نفس . وذهبت حصة عظيمة من بلاد نابلس ، وقتل بها خلق كثيرون . وتزلزلت عكا ، وذهبت حصة من برجها في البحر ، وطبريا ، ودير حنا[1] ، وقلعة الجندل ، وبلاد الشوف ، وسائر بلاد الساحل الشامي كصيدا وبيروت واللاذقية ، ويافا ، وحيفا ، وباقي تلك البلاد الشامية ، ولم يبق في جبل الدروز قرية الا واصابها حادث عظيم ، وبلاء جسيم ، وتهددت الحانات على من بها من القفول .

وفي دمشق قتل ما لا يحصى من الرجال والنساء . والذي اصاب مسجد دمشق ما عهد مثله . وهذا الزمن الذي حصل فيه هذا البلاء في البلاد في اقل من درجة . نسأل الله السلامة من اهوال الحشر والقيامة .

ووافت الناس من سائر الاقطار من الوجه الغربي والساحل يقولون لاهل دمشق احمدوا الله على ما حفكم به من اللطف . فان الخارجين عنكم لم يسلم منهم الا القليل .

واغاث الله تعالى بكافل دمشق الدستور الاعظم الوزير « عبدالله پاشا بن ابراهيم الشهير بچتمجي » ومتولي اوقاف الجامع المشار اليه شيخ الاسلام « علي ابن محمد بهاء الدين بن محمد مراد المرادي » الحسيني النقشبندي مفتي السادة الحنفية بدمشق فبذل الوزير الهمة في اصلاح المنارات ونقض المنارة الشرقية الهائلة التي اعجزت البنائين واهل الصناعات ان يضعوا ايديهم فيها لما هي عليه من البناء الهائل المتداعي للسقوط ، وطلبت طائفة البنائين من النصارى اموالاً عظيمة على نقضها وان يجعلوا لذلك السقائل الهائلة من الاخشاب حولها لاجل النقض . فأمر الوزير بقطع الاخشاب ونقلها للجامع فقطع شيء كثير من الغيضة الشهيرة الكائنة بالوادي بدمشق ومن غيرها ونقل الى الجامع حتى امتلأ خشباً ، واجتمع جميع نشاري دمشق لنشره قطعاً ضخاماً كل

---

١) قرية في فلسطين بين بحيرة طبريا ومدينة عكا .

قطعه سمكها مقدار ثلث ذراع او ربع ذراع وشرع البناؤون في عمل السقائل لاجل النقض حول المنارة المزبورة واستعظم طائفة البنائين من النصارى نقضها، فانتدب رجل من طائفة النجارين المسلمين لنقضها من غير سقالة وطلع الى رأس المنارة الى ان انتهى الى هلالها ، ولم ينزع من ثيابه شيئاً بل خرج بقاووقه وشخشيره[1] واخرج معه مطرقة وزميلاً حديداً صغيراً وصار يقلع بها الاحجار ويلقيها الى اسفل والناس ينظرون اليه من صحن الجامع ونقض في ذلك الوقت حصة من المنارة وكانت اعلا مما هي عليه الآن بخمسة وثلاثين ذراعاً واغلظ بمقدار خمسة اذرع وهلالها فوق بشاش من الحجر الكبير وبذل الوزير للنجار وكان حاضراً لما صعد الى المنارة جائزة ووعده انه اذا اتم العمل ان يقابله بالجوائز السنية . واخذ البناؤون في تهيئة اسباب البناء من عمل الدواليب وحفر الاسس .

❁

ثم استهل شهر ربيع الثاني بيوم الاربعاء . ففي ليلة الاثنين سادس الشهر المذكور بعد صلاة العشاء بالجامع الشريف بنحو ثلث ساعة رجفت الرجفة العظمى والزلزلة الكبرى التي لم يرَ ولم يعهد مثلها في سوالف العصور فصارت الجبال تمور ، والارض تفوز، والمياه تفور ، وبقيت بعد سكونها تتوالى رجفات لطيفة الى ان اصبح الصباح واستمرت نحو درجتين فانخلعت لها القلوب ، وصار الناس يبتهلون بالدعاء والتضرع لعلام الغيوب ، وحارت العقول ، وطاشت الرجال الفحول ، وثار في ذلك الوقت الغبار والقتام ، واشتد في ذلك الآن الظلام ، وأدهش الناسُ في ذاك الخطب المهم ، والمرعب المدلهم ، الذي انعقدت له الالسن وخرست ، وغارت له العيون ، والشفاه يبست ، وصارت الارض تفور وتغلي مثل المرجل ، وانكشفت تلك الساعة عن غالب منارات دمشق بالسقوط وبالقصف والمأذنة الشرقية الاموية المتقدم ذكرها وقعت الى الاسفل ولم تخرج الى فلك ، وسقطت قبة النسر في الجامع المرقوم مع عظمها، وسقط جميع الرواق الشمالي باعمدته المحكمة وعضاداته ، وكان مشتملاً على

[1] الشخشير نوع من السراويل الواسعة .

عضادات واعمدة ، بين كل عمودين عضادة مبنية بالرخام وانواع الحجار المثمنة من اسفلها الى اعلاها ، وسقطت المنارة الشرقية على جهة الجامع فهدمت مقدار ثلث المغارب الثلاث التي بقربها ، وتشققت غالب الجدران واشرفت على السقوط . فسبحان الفعال لما يريد ، الحي القيوم الذي لا يموت .

ولم تبق قبة في دمشق الا واصابها عاهة او سقطت ، ولم يسلم منها الا النادر وسقط جميع جامع بلبغا مع قبته الهائلة ومنارته ، مع ان بناءه كان في غاية الرصانة والمتانة ، وسقط من الخان البديع الذي بناه الوزير اسعد باشا والي الشام وثانيها ثلاث قباب هائلة ، وتهدمت دور دمشق الا القليل ، وكثرت القتلى في تلك الليلة ، وتهدمت القرى التي حول دمشق ، وهلك بسبب ذلك من الانفس والمواشي ما لا يحصى كثرة .

وكان من جملتها قرية التل قتل تحت الردم ما ينوف على خمسمائة ولم يسلم منها الا القليل ، وقرى الجبل كالهامة والزبداني ووادي بردى هلك فيها تحت الردم ما لا يعد . ووقع سور مدينة دمشق في نهر بانياس ، وسدت الطرق بالتراب والاخشاب والصخور ، وصارت السماء مع الارض تمور ، وتلف من الاموال والانفس ما لا يحيط به حد ولا يحصره عد ، وذهب من الاثاث والامتعة والاواني الصيني وغيرها الشيء العظيم الكثير ، فسبحان من قضى بذلك ليعلم العباد أن كل شيء هالك الا وجهه ، فصار الناس لا يألفون الاوطان ، ولا يستقرون بمكان . وخرج اهل دمشق جميعاً باموالهم وانفسهم وعيالهم الى خارجها ، ونصبوا الخيام ، وبقوا مقدار ثلاثة اشهر وهم في الخارج . وقد نظم في تلك الزلزلة الهائلة الفاضل العالم الاديب مصطفى بن احمد محمد الدمياطي ابياتاً فقال :

ان تناسبت اوقات انس نفضت لست انسى ليالي الزلزال
اذكرتنا كيف المنام بعد وارتنا بالعين رقص الجبال
اشهدتنا تمايلات قصور باهتزاز كحالة الاطفال

❁

ولما عرض كافل دمشق الوزير « عبدالله بن ابراهيم الشهير بالپتجي » الى الابواب العالية السلطانية بقسطنطينية المحمية حال الجامع الشريف الاموي

المزبور ، وقلعة دمشق وما اصابها من الانهدام ، وسألوا الدولة في تعميرها ، وكان صاحب التخت العثماني السلطان مصطفى ابن السلطان احمد . فلما وصل الخبر اليه صدر الامر منه بتعميرها وارسل أميناً على العمارة المزبورة احد البوابين بالابواب العالية « مصطفى بن محمد الشهير بالبانجي » فلما وصل الى دمشق بالاوامر والاموال ، وذلك في سنة اربع وسبعين ومائة والف ، نزل كاتل دمشق الوزير عبدالله باشا المذكور الى الجامع وحضر معه قاضي قضاتها اذ ذاك المولى «ساطع علي بن مصطفى خطن علمي احمد افندي» ، ومفتي الحنفية بدمشق ومتولي اوقاف الجامع المزبور المولى العلامة شيخ الاسلام « علي بن محمد بن المرادي » النقشبندي وبقية اعيان دمشق من العلماء ، وكشفوا عما يحتاج اليه الجامع المزبور وجمعوا المعمرين والمهندسين وارباب الصنائع من كل حرفة تتعلق بالتعمير ، فأمرهم المتولي على العمارة ان يشرعوا في اعادة ما انهدم ومرمته .

النص الثاني

لخصته من رسالة رأيتها عند بعض الافاضل بخط حديث لمؤلف مجهول يصف هذا الزلزال باحصاء دقيق ، ولا نعرف عن هذا المؤلف الا انه لما وقع هذا الحادث كان في قرية برزة . ثم لما رجع الى داره في حارة المقدم بالصالحية وشاهد فداحة ما وقع الف هذه الرسالة . وأسلوبها قريب جداً من اسلوب السيد احمد البديري في رسالته « زهر النضرة في ذكر الغيضة » وكان معاصراً لحادث الزلزال وسكن الصالحية وتوفي سنة ١٢٢٦ (١٨١١) فان صح بانه سكن في حارة المقدم يكون هو المؤلف على الراجح .

اما عملي في تلخيصها فهو بتناول الفاظاً مسجوعة وبعض ابيات مصحفة حذفتها لعدم تصحيحها ولان ضيق الوقت في نقلها كان يحتم علي ان آخذ لبابها . وهذا نصها بعد حذف التسجيع منها :

وقعت زلزلة دمشق الليلة السابعة من شهر ربيع الاول سنة ١١٧٣ (تشرين الثاني ١٧٥٩) بعد مضي عشر ساعات ونصف من الليل

فاجلست ما كان من واقف وايقظت من كان من نائم
وارتجت الارض بسكانها واعتنق المظلوم بالعالم

وسمع لها دوي وهدير ، وتتابعت حركاتها طول الليل الى الصباح وبقي الزلزال ثلاثة ايام بلياليها . ووقع رأس المنارة الشرقية المسماة بمنارة سيدنا عيسى ،

ورأس منارة العروس ، ورأس المنارة الغربية ، واختلت قبة النسر ، واختل الحائط الشمالي من باب اليانية الى اودة مفتي الشافعية ، وكثير من الجوامع والحمامات والخانات والاسواق والحارات وبعض القرى ، ووقع رأس منارة السلمية وبعض القبب .

ثم هدأت اياماً قليلة . ثم رجعت بشدة في الليلة الرابعة من ربيع الثاني بعد مضي ثلاثة ساعات من الليل .

ثم يصف اهوال هذا الزلزال ويقول بعد ذلك :

ثم احببت ان اجمع ما خرب من الجوامع والمدارس والحمامات اذ لم اقدر على جمع من مات فنزلت الى دمشق المحروسة من جهة باب البريد ، لارى ما خرب من جامعها الفريد .

[وصفه للجامع الاموي وما كان خارج ابوابه من الاسواق]

سوق باب البريد يسكنه كبار التجار ومن يتعاطى بيع الطيب من العنبر والمسك[1] والعود والحلوف الخ .

الباب الشرقي ويسمى جيرون يخرج الانسان منه الى سوق الذهبية الذي كان اولا تصنع فيه الشروبا (؟) من الذهب والفضة . ويشتمل على قهوة لا يوجد لها نظير في الدنيا . وبها فوارة ماء . وتواجه القهوة حمام الذهبية .

وباب شمالي بالقرب من السياطية[2]

وباب آخر كبير يسمى باب الساعات يخرج منه الى مدرسة الكلاسة[3]

---

١) لا يزال هذا السوق يدعى بسوق المسكية .

٢) يدعى هذا الباب « باب الزيادة وباب الفراديس » ثم دعي باب الناطفانيين ، والآن يدعى باب العمارة نسبة لحي العمارة الذي على مقربة منه .

٣) المعروف ان هذا الباب يدعى بباب الكلاسة لانها كانت موضع عمل الكلس ايام بناء الجامع . وفي سنة ٥٧٥ امر الملك صلاح الدين ابن ايوب بتجديد بنائها وعمارها مدرسة . ولا تعرف احداً سمى هذا الباب بباب الساعات . وانما اطلق هذا الاسم للمرة الاولى على الباب الشمالي الذي سماه المؤلف « بباب المنجانية » لانه كان في زمن العباسيين على بابه ساعات تعلم منها الاوقات ، ثم اهمل امرها ، ثم ان السلطان نور الدين محمود بن زنكي وضع ساعات اخرى على باب جيرون فدعي ايضاً بباب الساعات وهي التي وصفها ابن جبير في رحلته .

وبابين صغيرين محدثين[1]

وباب كبير قبلي يسمى بالمنجرانية .

وكل من الابواب مكفت بالنحاس الاصفر وبه انواع الصناعات . ومكتوب على كل باب اسم بانيه وصانعه[2] .

وبالجامع من التداريس سبع [تداريس] اعظمها تحت القبة .

وبه من البقع مقدار الخمسة والعشرين مجلساً . في كل بقعة منها مدرس من بعد صلاة الصبح الى قبيل الظهر لافادة الطالبين من كل نوع من انواع العلوم .

وبخارج حرم الجامع قبتين احداهما على ثمانية عواميد[3]، والثانية على ست عواميد[4] وقبة بينهما صغيرة بكاس من الرخام .

وبالجامع اربعة مشاهد : احدها بالقرب من منارة عيسى ، وبه مشيخة على طريق الششتري يقام به الذكر عقب صلاة كل جمعة ، وآخر شرقي خارج الحرم ، وشيخه يقيم به الذكر ليلة الجمعة والاثنين ، « والثالث » غرباً وشيخه على طريق الششتري يقام به الذكر عقيب كل جمعة « والرابع» غربي وله شباكان مطلان على حمام الجامع[5] وبه بركة ماء يتوضأ فيها .

وبالجامع مقصورة[6] عجيبة تقصر العبارات عن وصفها معدة لتلاوة القرآن .

---

١) انشئ في شمالي الجامع الاموي من اوله الى آخره عدة مداوس فتح لها شبابيك الى الجامع لها حواجز من حديد ثم رفع بعض هذه الحواجز واستعملت كابواب لتسهيل الدخول الى الجامع وهي ما يشير لها المؤلف وليست بابواب عامة .

٢) كتب على الباب الكبير الغربي (اي الذي جهة باب البريد) انه انشىء عام (جلظ) وحسابه بحرف الجمل عام (٩٣٣) وكتب على الباب الصغير الذي الى جانبه اسم «السلطان الملك المؤيد ابو النصر شيخ» و « ينظر من زاده قليل . سليمان بن خليل» .

٣) هذه القبة تدعى بقبة المال وهي في صحن الجامع في الشمال الغربي .

٤) هي في الشمال الشرقي وتدعى بقبة زين العابدين وقد سقطت في هذا الزلزال فاعيد بناؤها على جدران وتدعى في عصرنا بقبة الساعات .

٥) الظاهر ان هذا المشهد هو الذي غربيه دخلة المدرسة الصادرية ولهذا المشهد باب سد من اسفله واستعمل كشباك وقد فتح وارجع باباً في عصرنا والظاهر انه كان مقابل هذا الباب حمام في هذه الدخلة وقد دمّر ولم نسمع له بذكر قبل هذا النص .

٦) المقصورة حواجز خشبية مزخرفة توضع حول المنبر والمحراب يدخلها الخليفة

وبها من المصاحف ما ينوف على المائة و[بها] مصحف عثمان بن عفان.

ثم يقول المؤلف :

فلما قصدت باب البريد ورأيت ما حل به من انهدام سقفه ، ونوم اعمدته وعضائده بكيت عليه وانشدت :

على باب البريد بكيت شوقاً ، واغلق باب جامعه الفريد
فارجو الله ان يأتيه عوناً وانساقاً على خيل البريد .

ثم يقول :

مشيت على الحجارة والانقاض لأشاهد ما حل بالجامع فرأيت رواقه الشمالي من عند الباب الصغير بالقرب من اليزبكية[1] الى قرب اودة المفتي قد سقط سقفه وعضائده واعمدته الى الارض . ومئذنة العروس ، ومئذنة عيسى والمئذنة الغربية[2] سقطوا الى الارض ، وقبة النسر خربت الى الارض . وخرب غالب الجامع سقفه وحيطانه وبلاطه فاذهلني ما رأيت وقلت :

فيبكي الجامع الاموي حزناً وكان لدى الجوامع كالرئيس
وما اوهى التراب منارتيه فاتلفها سوى قصد العروس
وقبة نسره للارض خرت تسلم بالخضوع على الدروس

والملوك والامراء مع حاشيتهم لاجل الصلاة ، ووضعت للسرة الاولى زمن عثمان بن عفان خوف اغتياله كما اغتيل قبله عمر بن الخطاب وهو في الصلاة . ويذكر الباسي في اصلاح المساجد ص١١٢ ان مقصورة الجامع الاموي بنيت الى سنة ١٢٨٠ هـ ثم رفعت في هذه السنة بأمر والي دمشق شروانى باشا .

(١) الظاهر ان المراد باليانية الزاوية الغزالية التي كان مكانها قبة من خشب يسكنها الافغان ورفعت في الحرب العامة الاولى ، واما اودة المفتي فالمراد بها حجرته التي كان يسكنها والمراد به مفتي الشافعية من آل الغزي وهذه الحجرة هي التي لها شباك كالباب بينها وبين الجامع من جهة الشرق في الشمال على مقربة من الزاوية الكندية وقبة زين الدين وهي ايضاً قسم من التربة الكاملية . والمراد ان الرواق الشمالي سقط برمته عدا قسماً ضئيلاً من شرقه وغربه .

(٢) لم يذكر احد غيره ان المئذنة الغربية سقطت بل هي باقية بطرازها المملوكي وعليها اسم الملك قايتباي . فان صح ما ذكره فيكون قسم من اعلاها سقط كما يشير لذلك نص كمال الدين الغزي .

ثم تقدمت جهة باب جيرون فرأيت قهوته تهدمت ، وفوارته تخربت وحمامه خالٍ من الناس فاخذتني العبرة وانشدت :

الا يا باب جيرون المفدّا سقيت من اللواقح بالغوادي
ترى لي نظرة من بعد يأس انال بها من الدنيا موادي
وهل فوّارة للماء فيه تزيد وماؤها يسقي الصوادي
وهل حمامها المعمور باقٍ يزيد الطهر منه لكل بادي

حارة العمارة

اما العمارة وجهاتها وتحت القلعة الى خان الباشا الى حارة الغواني[1] الى البحصة الى الحسودية[2] الى الدرويشية الى الشاغور فالبعض خرب وتعطل والبعض آيل للسقوط .

فمن الجوامع والمآذن : جامع التربة ، جامع المعلق ، جامع الشامية[3] جامع البغا[4] ، جامع السنجقدار ، جامع السباهية[5] والشامية[6] وبعض السليمانية[7] ، وجامع السفرجلاني ، وجامع محلة الخراب ، وجامع محلة النطاعين[8] ، وجامع الشاغور .

---

١) الراجح ان هذه الحارة هي التي يطلق عليها اليوم حارة المناني ومدخلها من محلة خان البطيخ وهي غربي خان الباشا .

٢) حارة الحسودية مدخلها من جهة البحصة وهي بجنوبها شمالي نهر بردى مقابل دار الحكومة في دمشق تماماً من جهة الشمال ويفصل بينها وبين طريق ضفة بردى جامع فضل الله البصروي .

٣) هي المدرسة الشامية .

٤) هكذا تلفظها العوام وصوابها : يلبغا وهو احد نواب دمشق في العصر المماليكي .

٥) هكذا تلفظها العوام والمراد به مدرسة سباي وهو آخر نائب تولى دمشق من قبل المماليك .

٦) هكذا في الاصل وتقدم ذكر الشامية . ولعل الصواب : الثانية اي جامع سنان باشا وله منارة مبنية بقطع من القاشاني وهي الفريدة من نوعها بدمشق وقد ذهب اعلاها فاصله يشير الى سقوط اعلا هذه المنارة .

٧) المراد بالسليمانية مدرسة السلطان سليمان بن السلطان سليم العثماني ومدرسته الى جانب التكية السليمية من جهة الشرق .

٨) هذه المحلة خارج باب الفراديس ويطلق عليها الان اسم « محلة العمارة » ولا يزال فيها مسجد يسمى « اللطاعيل » تحريف « النطاعين » .

وفي الصالحية:

جامع السليمية[1]، جامع الحنابلة، جامع الجديد، جامع الاتابكية، جامع عزيزة الدين المارداني، جامع المرشدية، جامع الاخرم، جامع الحاجب. وهو من احسن الجوامع وجميع حيطانه وارضه بالرخام الابيض والمذري حتى يقال ان اغسلاق الشبابيك بين العود الماوردي. وقبة المنارة على ست عواميد[2] من الرخام وقعت المنارة والجامع وبقيت آثته فيه.

وفي القرى:[3]

جامع برزة، وجامع التل، وجامع منين، وجامع القابون، وجامع عربين، والاشعري، وجامع الشابية، وجامع البادة. فبعضها وقع الى الارض والبعض آيل للسقوط.

المآذن:

واما المآذن فجميعها خراب

والمنارات في الجوامع خرت سجداً بالرؤوس والاقدام
انها طالما شاهدت السجود فارتهم كيف يسجد الجلمود

الحمامات:

واما الحمامات فمنها: حمام القرماني بمحلة تحت القلعة، وحمام الناصري في المحلة المذكورة، وحمام البوابجية، وحمام السلسلة الكبير، وحمام السلسلة الصغير، وحمام السلطان، وحمام سامه، وحمام الفقيه البكري، وحمام العلائي، وحمام النائب، وحمام المسك في طالع القبة.

وفي الصالحية:

حمام المقدم، حمام الحاجب.

---

١) نسبة الى السلطان سليم ويعرف هذا الجامع في عصرنا « بجامع الشيخ محي الدين ».

٢) هذا الطراز وحيد من نوعه في دمشق وهو على طراز منارات القاهرة.

٣) ما تقدم من اسماء هذه القرى لا يزال معروفاً وموجوداً الى اليوم على مقربة من دمشق.

ومن القرايا:

حمام دوما، والحامة، وقطنا، وعربين، والتل، ومنين وحلبون[1].

واما القبب المعقودة بالاونة والآجر:

فمنها قبة جامع دمشق. وهي راكبة على اربع اركان. كل ركن منها مئة ذراع من الرخام العادي والمعذري[2] وفيها من انواع الصناعات ما لا يوصف. ويحيط بالقبة في الاعلا مقدار العشرين قرية من البلور. كل قرية فيها ارتفاع عشرة اذرع وصف آخر قماري تحت الصف الاول. وبها من الصناعات والنقوش ما لا يصفه الانسان، ولا يبلغها بيان وتحتها تدريس خانه واشرت اليها بقولي:

وقبة نسره للارض خرت تسلم بالخضوع على الدروس

وقبة الملك الظاهر، والملك العادل، ونور الدين الشهيد، والعصرونية، والسادات. وخمس قبب في الخان الجديد عمارة اسعد باشا، وقبة مدرسته[3] وقهوة الحمام (؟) وقبة الذهبية في مرج الدحداح. وقبة الناصرية، وقبة دار الطرح[4] قديماً بجملة من القصب. وقبة جامع الحشر[5]، وقبة جامع فتحي افندى[6] وقبة مرج الدحداح. وقبة في اعلا قلعة دمشق تسمى بديوان الظاهر وقبة الشيخ النحلاوي[7]. واثني عشر قبة في الدرويشية[8]، وقبة جامع الياغوشية تحت القلعة.

في الصالحية:

قبة الشيخ الاكبر، قبتين في التكية[9]، قبتي الشيخ ابي الحسن الصوري،

---

١) راجع الحاشية رقم ٣ من الصفحة السابقة.

٢) الراجح ان المراد بالمعذري نوع من الرخام الاحمر.

٣) هي المشهورة في عصرنا بمدرسة الخياطين.

٤) المراد بالطرح الفراتب او نحوها في العصر المماليكي.

٥) هو المسمى الآن «جامع السنجقدار» وقديماً «جامع ارغون شاه».

٦) هي مدرسة فتحي في حي القيمرية.

٧) هي قبة الغربة التنكزية قبلي المدرسة النورية بزقاق المحكمة الشرعية.

٨) شرقي جامع الدرويشية طريق عريض وبشرق هذا الطريق حوانيت على ظهرها غرف كل غرفة لها قبة وقد اندثرت هذه القبب ولا يزال بقية منها في طريق الاندثار (وهي ما يشبهها المؤلف).

٩) المراد بها التكية المقابلة لجامع الشيخ محي الدين ابن عربي.

قبتي مدرسة الجهاركسية ، قبتي المعظمية ، قبة الشيخ رسلان مع القبو[1] ، قبة النصر ، قبة المارداتية . وقبب كثيرة لا اعرف اسماءهم.

القلاع:

واما القلاع السلطانية فمنها قلعة دمشق المحروسة وقع منها البرج القبلي والصور الى الخندق ، والبرج من البراج خانسة الى المناخلية ، وسقط بها دور كثيرة. وقلعة بعلبك وهي اعجب قلاع الدنيا وقعت عن آخرها ، وقلعة طبريا وقلعة الشقيف ، وقلعة عكا وخان الناطية (؟) كأنه قلعة ، وبعض قلعة صيدا.

الخانات:

واما الخانات فخان الباشا بدمشق ، وخان اسعد باشا ، وخان تحت القلعة ، وخان الدالاتية ، وخان المناتبة ، وخان القصير ، وخان السبيل ، وخان ميسلون ، وخان حاصبيا ، وخان القايون ، وخان سعسع ، وخان الديماس ، وخان الحصين(؟) وخان الفرنج ببيروت.

ومن الطواحين:

طاحونة التربة ، وطاحونة الاشتاك ، وطاحونة حرستا ، وطاحونة التل ، وطاحونة منين.

ومن المناصر:

معصرة القصير ، ومعصرة النشابية ، ومعصرة زملكا.

واما الضياع والقرى:

فقرية معربا ، والتل عن اخرها ومنين ، وبعض حلبون ، والدريج ، وصيدنايا وحرستا ، وعربين ، ودوما ، وعذرا ، وحزة ، وحمورية ، وبيت سوا ، وجسرين ، والافتريس ، وكفربطنا ، والمتيحا ، وزبدين ، وبيت نايم عن اخرها ، والاشعري وصالحية المرج ، والجربا ، والبحارية ، وميدعة ، والميسونية ، والصوامع ، وتل الكردي ، والريحان ، ومديرة ، والشفرنية ، ودمر ، والهامة عن اخرها ، وسقبا والسوق ، ومضايا ، والزبداني عن اخرها ، ودير ريا والجديدة ، وعينطوز ،

(١) الظاهر مراده بالشيخ رسلان الذي قبره خارج باب توما ولكن سها فعد قبته مع قبب الصالحية .

وكوكب ، وقطنا ، وسرغايا ، وبعلبك واقليمها ، والحولة ونواحيها ، والبقاع ونواحيها . فالجميع مما ذكر وقع اكثره على الارض وبقي القليل آيل للسقوط .

وذهب من الناس ما لا يحصى . وخرج الناس عن المدن الى البراري فالبعض تحت الخيام والبعض بنوا بيوتاً بالطبق[1] والدفف . والبعض صار بلا مأوى . وبعض الفلاحين حفروا في الارض اوكاراً سكنوها .

وكان حاكم دمشق في ذلك الوقت عبدالله باشا الشتجي .

النص الثالث

اورده المرادي في سلك الدر (٣ : ٨٢) وهو :

وحصل بدمشق سنة ثلاث وسبعين ومائة والف ، ليلة الثلاثاء ، ثامن ربيع الاول قبيل الفجر زلزلة واتصلت بالقدس وغزة وتلك النواحي وصيدا وصفد وجميع بلاد الساحل الشام وحمص وحماه وشيزر وحصن الاكراد وانطاكية وحلب واتصلت في كل اسبوع مرتين وثلاثا الى ليلة الاثنين سادس ربيع الثاني من السنة المذكورة فزلزلت بعد الفراغ من صلاة العشاء الاخيرة تلك المحال المذكورة بلسرها واستقامت بدمشق ثلاث درج وخرب غالب دمشق وانطاكية وصيدا وقلعة البريج وحسية ، وانهدم الرواق الشمالي من مسجد بني امية بدمشق وقبته العظمى والمنارة الشرقية ، وانهدم سوق باب البريد ، وغالب دور دمشق ومساجدها ولم تزل الزلازل متصلة الى انتهاء السنة المذكورة واعقب ذلك بدمشق قبل انتهاء السنة الطاعون الشديد وعم قراها وما والاها وحصل لغالب مساجدها التغير من وصايا الاموات . وعمر جامع دمشق والقلعة والتكية السليمانية[2] باموال صرفت من كيس الدولة العلية العثمانية .

ذلك ما اطلعنا عليه في هذا الموضوع .

---

١) يراد بالطبق الدف الرقيق .

٢) الصواب : السليمية .